نصوص

- محمد علي شمس الدين
- أمجد ناصر
- محمد علي اليوسفي
- فرج بيرقدار
- محمد حلمي الريشة
- طارق الكرمي

شيءُ النار(1)

محمّد علي شمس الدين*

أمْرَرْتُ على جَسَدي شيْءَ النارِ وكنتُ أنا اغْتَسَلَتْ قَدَماي له ويداي بماءٍ ينزلُ من نهديَّ ويجري فوق السُرّةِ حيثُ «هناكَ» وتَنْسرحُ الغزلانُ على ساقيَّ كساقيتين إلى آخرِ سبّاباتي ...
كُنتُ غسلتُ لك الجسدَ المرجانَ بقارورةِ عطرٍ أسوَدْ.
وغدا الـ «بينَ السُرّة والساقينِ» كمثل الحجل المبتل بأمطار الغاباتِ انسَرَبَت فيه نقاط واحتُبستْ فيه نقاط أخرى فغدا أجملَ منْ فأر المسكِ ومن هرّ الدغَلِ الأجعدْ .
وأتيتَ قويّاً كالثورِ ومُنساباً كالأفعى وخفيفاً كالدمعةِ في جفنِ يتيمٍ جاعَ طويلاً وتسكعَ فوقَ الطرقاتِ فلّما آنَسَ بي ما يأنسُ من حضنِ الأمّ تقدَّمَ مرتجفاً ففتحتُ البابَ فلم يدخلْ فجذبتُ قميصكَ حتّى انقدَّ إلى نصفين جذبتُ قميصكَ من قُبُلٍ ووضعتُ على نهدي فمكَ الظمآن فأوغَلَ حتى قاعِ النبعِ وأخرجَ من داخله شيءَ النارِ وأوجعني.. لم أصرُخْ وَعَضضْتُ على شفتيَّ عضضْتُ على روحي حتّى لا تخرُجَ منّي الآهةُ بل تملؤني كجنينٍ ملتفّ الساقِ على الساقِ ومكتملٍ مُفْرَدْ .
فإذا جئْتَ غداً فَأْمُرْ قطعانكَ أنْ تَرعْى ما زَرَعَتْ شفتاكَ على جسدي من قمح الرغبةِ حتّى لا تَقْطَعَنا الأيامْ .

---

* شاعر لبناني يقيم في بيروت.

(1) من مجموعة شعرية ستصدر بالعنوان نفسه.

أطراف النهار

أمجد ناصر*

(إلى جميل حتمل)

I

لأنني ما نجوتُ من أمل حتى وقعتُ في غيره
وما بشَّ لي قناعٌ إلاّ واتخذته نجيّا
فقد متُّ لا كما يموتُ الماشي مَرَحاً بين أقرانه اليقظينَ
ولكن كمن مات كثيراً، فلما جاءَ الموتُ ضاحكاً
تحت قنزعتهِ الخضراءِ وأسبل عينيَّ على شعاع الوداع
الطفيف لم أصدقه فقد كنتُ أظنُّ الموتَ جلجلةً،
«صرخةً عظيمةً تودعُ كلَّ ما استسلمنا
إليه فاغتنى وهجرنا» لا مجردَ غفوةٍ في سريرٍ قاحلٍ
سريرٍ وحيدٍ
في عراء البياض .

هناك من يموتُ يأساً وأنا متُّ لأن الأملَ
ظلَّ يَفتُلُ حولي فالأملُ، صيادُ النفوسِ الضعيفةِ،
يأخذكَ إلى جذرِ الماءِ ويعيدُكَ ظمآن
يلعب بك لَعِبَ البيضةِ والحجر .

لم أكنْ أعرفُ
أنَّ الأملَ
أزهقَ أرواحاً
بهذهِ الكثرةِ

متُّ كثيراً وظللْت أُجَرْجِرُ نفسي تحتَ طائلةِ الوعودِ
فكلُّ من يعرفُني يعلمُ كيف يغدو الموتُ حلماً
تزيِّن له أشرسُ الليَّالي فراشَها
تُبخِّرُ الشراشفَ
تناديه بألطف أسمائه
ولا يأتي .

ليس الموتُ سهلاً حتى نغويه بكأسٍ أو نرمي إليه
قمراً بدَّدَ العُشَّاقُ تحت ضيائه ثروتَهم من الدموع
فمن رأى يديه مثلي يعرفُ كم صعباً أن يعود
الغائبُ، بوثبةِ مُهرِ القلب، إلى كفِّ أمه ليشرَبَ .
فلا أحدٌ يعودُ كما خرجْ وليس للماء ذاكرةٌ لتحفظ أوجه الغائبين
ولا أحدٌ يموتُ وقتَ يشاءُ

لا تصدقوا المنتحرينَ الذين يَرمون أنفسهم في الأنهار
أو من فوق بنايات مأهولة بالنائمين
شيءٌ آخرُ غيرُ طوالعِهم استلَّ شَعْرَتَهُ من عجائنِ الليلِ
وأرخى عليهم سدُوله .
فعلتُ كلَّ ما يفعلونَ ولم يضع مَنْ يلهو بالساعات
ويطعمُ العقاربَ سُكَّرَ الغَفلةِ شيئاً في يدي .
ابتلعتُ مرةً مئةَ حَبةِ مُنوِّمٍ
أكلتُ حتى بشمتُ من عنب الأفعى
طرحتُ طولي كلَّه على سكةِ «المترو»
وحزّه الهديرُ من الوريد إلى الوريد
سدَّدتُ قبضتي إلى قلبي المعلقِ بخيطٍ

في فراغ الجوفِ ورحتُ أشبُّ بكلِّ قواي
لكنَّ شيئاً لم يسقطْ من الغصن المنحني على طرف النَّهار،
الأوراقُ وحدَها اصفرّتْ وتحنَّطتْ في خريف الأملِ الطويل .

II

ولما تعبتُ من جَرْجَرةِ نَفْسي بينكم نمتُ
فرأيتُ عابراً مائلاً يشبهني يغذُ الخطى في أصيلٍ بطيء .
حاولتُ أن أتبينَ وجههَ فلم أستطع
فكلما فعلتُ جعلتُ أغوصُ في عهنٍ منفوش
سمعتُ همهمات ووقعَ خطى تتراجعُ وغامتِ الدنيا
في وجهي وراحتْ تطفئُ مشاعلَ فوق قلاعٍ غامضة
وترفعُ دلاءً من آبارٍ غاضت مياهُها؛
أسمعُ صريرَ بكراتٍ وحبالاً تُسْحَبُ
وطرطقةَ دلاءٍ فارغةٍ
جلبةً
خطى
نداءاتٍ
تتـ
لا
شي .

يبدو أنني متُّ وإلاّ كيفَ أرى من وراء جفنيَّ المخيطين
ولا أحركُ ساكناً في جبل القطنِ الذي انزلقتُ إليه .
فمي ناشفٌ تماماً وحلقي حُقّ فلينٍ وما خلتهُ صوتي
كان صدىً يتردَّدُ في مجرى جاف
فما حاجتي، على كل حالٍ، للكلامِ في حمى أبويَّ .
حَسْبي أن أنفضَ يديَّ مما كرهتُ فأفسدَ دمي
أو مما
دببتُ

على أربعٍ
كُرمى له .

أنا الآن بلا اسم لأنادى،
تركتهُ ينهضُ بعبء نفسه؛
في برزخ الماء والتراب
لا يسألُ الظلُّ
عن أصله

فليضعْ من يلهو بالساعات ويربّي العقاربَ تحت بروجٍ مشيّدةٍ
أكبرَ عقاربه في جفنةِ العنبِ فالرِّيحُ تجمَّدتْ في قصبة الناي
والريشةُ التي ظلَّتْ تسقطُ من طائر الأجلِ وصلتْ
فشكراً لكم إذ أرسلتموني ببزتي المقلّمةِ وقميصي الليلكي
إلى أبويَّ فقد كدتُ من فرط تأثري أن أشدَّ على أيديكم
لولا أنني لا أعرفُ كيف تكونُ ملامسةُ أيدي الميتين .

III

عارياً خرجتُ وبأفضلِ كسوةٍ عندي أعودُ .
أمي الرَّهينةُ نولِها تنتظرُ
فالأمهاتُ يحكْنَ انتظاراً لا مثيل لأقطانه
وأبي لاعبُ الأكروباتِ الفاشلُ
يؤرْجحُ السرطانَ، برهبةٍ، على أمتن حباله الصوتية .
أيامي نفدت في مدينةٍ يتناسلُ أهلُها
في حاضناتِ البرقِ ويتغذونَ بالوشائع
جاء مرةً جابٍ
ووجدَ عدَّادَ
الكهرباءِ مفصولاً
ولم يفهمْ
كيف تنبضُ غرفتي
بالفولتات!
أحببتُ وخرجتُ من الجهة الأخرى بأكثرَ من ضلعٍ

ناقصٍ فالحبُّ ليس أقصرَ مخلباً من الأمل .
اسألوا قلبي الذي تركتهُ
يصخبُ كعبد تحرّر من زرد الليل
على الطريق التي كلّما مزّقتُ
من أجلها وريداً
أحبَّتْ سواي أكثر

لم يبق حاجزُ «مترو» لم أقفز عنه
ولا شارعٌ إلاّ تَخزَّنَ في ذاكرةِ قدميَّ
كتبتُ قصصاً عن الحبِ والجنونِ لم تعجبْ أصدقائي المُتَطلِّبين؟
فلم أكن مهتماً بالصنيعِ بل بتصنيف مراتبِ الخديعة .

ليس لديَّ ما أفعلُهُ هنا ولا في أي مكانٍ آخر
لذلك أتركُ لكم كتبي وحرائقَ الحصادِ في اللوحات
المعلقةِ على جدرانِ غرفتي والأيامَ الموعودةَ
التي لم تأتِ فاعطوها لعابرٍ مائلٍ بين ليلتين بلا نجوم .

الخريفُ فصلٌ مثالي لتوديع باريس .

زهرُ النَّردِ يتساقطُ، بغزارةٍ، على مربعات الصّدفةِ .

السائرونَ نياماً يعودونَ إلى مضاجعهم .

الجبابرةُ يتحرَّرونَ من صريفِ أسنانهم

شَمسُ المصلِ تغمرُ مستشفى «كوشان»
وفي الخارج أصدقاءُ مجازيون يُدخنونَ في ضجرٍ
لا تخفيه وجوهُهم المقطبةُ أو ينكثونَ الأرض بروؤسِ أقدامهم.

هناك ذئابٌ لا تُرى بالعين المجردة
تُقعي صامتةً في العطفات والنواصي
وهناك من يسمعُ ما لا تسمعون.

غير
أنَّ
الحياةَ
سرْجَ الأملِ الرَّخوِ على ظهر حصانٍ جامحٍ
تستمرئُ وعودَها
تأخذُ
وتُعطي
من غلّةِ الريح .

(شتاء العام 1995)

---

* شاعر أردني يقيم في لندن.

إشارة: يوظف هذا النص شذرات من ريلكه، دانتي، سفر أيوب .

فصول عمياء

محمد علي اليوسفي*

فصولٌ لنا ، وعليها خُطَانَا ،
وأخرى علينا ، تمدُّ الزَّمانَا ،
نبادلها النُّسْغَ ، نسْغًا بنُسْغ ،
نراها ، ولكنَّها ... لا ترانا .

كان الرَّبيعُ هُنَا

حافة الأرض

أقول (قُبَّرَةٌ !) ولا أراها ؛
تطير (بينما ريشُها عندي) إلى بلدي البعيدة .
أقول (أرضي إذاً...) ولا أراها ؛
تميلُ الأرضُ (تغفو على زندي) فتنكتب القصيدة .

النرجس يكذب

أقطف نرجسةً وأنتِّفُها : (لا ، ثم نعم...لا)
أقطف نرجسةً أخرى مبتدئا بـ:(نعم ، لا ، ثم نعم...لا)
لا أقطف نرجسةً وأنتِّفُها إلا وتجيبُ بـ : لا !

النرجس يكذب حتى العُرْيِ !
وأنتِ ؟

ربيع تيبار ــ دجبَّة

ارتحل الآباءُ (كانوا طارئينَ) واختفى (أو ربَّما...) التمثالُ :
كانت مريم العذراءُ ، خلف الماء ، يأتيها الحمَامُ بالرَّذاذِ ، وهي تحضن الصبيَّ نائماً في نقرة الشلاَّلِ ؛
ها قد نامت الأجراسُ عن جسده ، تحوَّلتْ كنيسةٌ وحيدة عن مشتهى نبيذه ،
يا للحنين! جاء يستعمرنا ـ المحتالُ ! ـ في إهاب أيما حنين :
كان هذا جسدي...كان نبيذي...

صديق أيقظني من ليلتي فجرًا

قد لا يكون مغنمُ ينضاف في ذكر اسمه، لأنه ـ كغيره كان، ووفْقَ كلِّ موقعٍ ـ يعدِّدُ الأسماءْ ...
لكنه أيقظني من ليلتي فجرًا ، لكي أذكره بآخر اسمين له : مهنَّدٌ ، ثم علاء ؛
لما تصاعد الحصار بالغاً أبوابَنا ، شدَّ على رشَّاشهِ وقال لي :
– أراك لا تجيء ؟
ثم أفلت ابتسامةً مكتومةً (فهمتُها : أراد أن يُحْرِجَني !)
– أراك لا تجيء ، ههْ !
أجبتُه مرتبكًا :
– كلاَّ ، أنا باقٍ . قتالُنا ، كما اعتدنا ، إلى شهادةٍ أخرى . أنا باقٍ بهذه الحياة، لا أرى لي غيرَها...
ودَّعَني «مرتجفيْنِ» : هو ـ في داخله ـ (حسب اعتقادي) وأنا في الجهتين...

ربما سمِعْتُه يهذي وراء الباب :
من أجلكَ...أو...مُدافعاً عمَّا تخاله الحياة...

سار بالرشَّاش والمسدَّسِ ،
فيما لزمتُ البيتَ كالمختلسِ.
و كان أن شُجَّ على منحدر الوادي ، ودوَّى معه موتٌ كثير.
بعد كل هذه الحياة خضَّ ليلتي يوقظني فجراً :
فمَنْ منَّا الذي قضَى ؟ هو الذي مضى وغاب في الأسماء ، أم أنا الذي أذكرها ، متابعاً ما أدَّعيه بعضَ غُنمي من حياةٍ ، راح من دافع عنها ، قابراً أسماءَه، مكفَّناً في لقبٍ مقدَّسٍ ؟

الفصل الحَرِج

تساءلتُ كيف أفاجئُ نشأةَ فصلٍ ؟
ذهبتُ إلى الأقحوانة عمداً . أزحت طنين اليعاسيب ، أربكتُ رَتْلَ النِّمال. شربت من النبع ثم تدخَّلت في وجهة الماء . جبتُ مرافئَ معزولةً لأقيس تحوُّلَها في ربيع حَيِيٍّ . بلغت تلالاً ، فعاينت تحتي نهوضَ الحقول . سبرت ارتعاشاً على زغَب العشب . فاجأْتُ نشأةَ فصلٍ : كعادته كان مرتبكاً وسعيد ؛

***

تدحْرَجْتُ ممتلئاً بالمظاهر ، مرتبكاً ؛ كيف أسعى إلى لغتي ، أستظلُّ بأُلْفتها ، قبل أن تستظلَّ بحضنٍ يخاتلها بالقديم الجديد ؟

***

تساءلتُ كيف أسلِّمها زهرةً ، فتعود بإشراقة الضوء ، من دون تلك الهشاشة ؛ كيف أغادر نرجسة الأقدمين – بلا أثرٍ نتوقَّعُه أو ندًى راكمَتْه – إلى ما أريد ؟

***

وكان الجوابُ على هيئة امرأةٍ : حين أسكرها النسغ دوَّخت العشبَ ، أفزعت النَّمل ، نافست النَّحل، عاشت بغمز العيون الصغيرة ، طقَّتْ بنوم البراعم طقًّا . وإذْ هدأتْ...وقفتْ تتمشَّط في

صفحة النَّبع، ألقتْ بإطلالة الفصلِ خلفيَّةً في إطارٍ بعيد...

لحظة قصوى

تسلَّل الفصل الفتيُّ مالئاً عينيكِ ، نسغاً هزَّ نهديكِ لينساب إلى السُّرةِ مضغوطاً بركبتيك. ثنَّى ، أنَّثَ الأنثى وأغوى. عاد ، أفرد المثنَّى ، ذكَّرَ الأنثى . ترى أنَّثَ ما فيَّ لأرتدَّ على شطريَّ ، أم ثنَّى، تثنَّى ؟ لست أدري...فأنا أنتِ هنا في لحظةٍ قصوى، لها فُتوَّةُ الحياةِ...والموت .

الوقت على خدَّيكِ

ترنو القبلةُ دامعةً،
تتدلَّى متأرجحةَ النُّضجِ من العينين إلى الشفتينْ
تتوسَّطنا ناضجةً ؛ نأكلها مشتعلينْ

تنساب إلى ما يغفو فيكِ ويُقصيني ،
تُسرج ما يلهو فيَّ ويُدنيكِ ؛
فلا نعرف ، قبل الآهةِ ، مَنْ منَّا ، ثاني الإثنينْ

يغمرنا ما يُحضِرنا ، كي ينسانا .
منسحبًا منَّا في «آهٍ» ؛ مبتلاً ، متَّقداً :
نهمس : «أينْ؟»

وكعادته يُربكني الوقتُ على خدَّيكِ بلؤلؤتينْ

امرأتان في واحدة

عندما تدَّعي أنها «امرأتان»؛
أرى واحدةً منهما جدَّ سيئةٍ ، (ربما ساحرةٌ!)
فإذا ما اقتنعتُ بأنهما «امرأتان»؛
أخونُ لها موعداً ، وألبِّي لها موعداً آخرا...

ما تبقّى

شعرةٌ ؛ ما تبقّى : رسوله خوفٍ على كتِفي .

ربيع في الداخل

الخطّة

بعينٍ علينا ، وأخرى لنا ، نحن كنّا هنا؛ في تموُّج بردٍ ، ورعشةِ لونٍ، وفعلِ التفاصيلِ في هذه الأرض .

مِنْ عادة الفصل أنْ يتسرَّب قبل عيونٍ تراه وبضع شفاهٍ تسمِّيهِ (...دَوَّمَ يعسوبُ زهرٍ جريءٌ – سواءً تعمَّد ذلك أو كان من سوء تقديره للفراغ – رأيتُك في فزَعٍ تركضين ؛ أزَحْتُ ارتطامًا بظاهر كفّي ، ونتراً وجدناه يغفو بشعركِ...)

لم نتقدَّمْ كثيرًا لأن المياه تعالتْ على حافة السَّدِّ فيما ازدهى عنُقٌ معدنيٌّ ، جناحان مثل انكسار المرايا ، أعادَا لنا الشمسَ مخضلَّةً عندما وَقْوَقتْ بطةٌ ؛ حرَّكتْ شهوةَ القنص فينا...
إذاً، نحن كنا هنا ؛ واستبقنا الربيع ، نزوِّدُ خمسين فصلاً بخمسين فخاً لبطَّةِ ماءٍ ستأتي .
ولكنَّ أكثرَ منْ بطَّةٍ كان لا بدَّ أنْ ترتوي...
وأكثرَ من خطَّةٍ كان لا بدَّ أنْ تنتهي...

وظلَّ الربيعُ يجيء : يكرِّرُنا أو يؤجِّلنا، كي نكونَ هنا،
بعينٍ علينا،
وأخرى لنا...

لأنه نيْئاً يجيء، حامضاً، فجَّ المذاق

(عنْ طفلةٍ واثبة بين كؤوس الطَّلع والنَّدى ، أتتْ راكلةً علِّيقَةُ بجزْمة الشتاء كي توظِّبَ الزُّهورَ في باقتها...)

سرتُ إلى الربيع كي أراهما ؛ فاختبأ الربيعُ بين غيمتينْ
أنصتُّ كي أسمعه ؛ كان خفيضَ الوقع . لن يشمَّ منه ضوْعَ عطرٍ مُدْمِنُ التَّدخين. كيف يلْمَسَنَّ رجفةً ؟ حتمًا سيُهري باليدينِ ما نأى عنْ قدميْه . وهو بالتأكيد ما استساغه لأنه نيْئاً يجيء، حامضاً، فجَّ المذاق ، صابغاً للشفتينْ...

في سادس استجابةٍ وجدته في داخلي :
(كان كلانا عاريًا ، وواحدٌ فقط...تراءى مطبقَ الجفنينْ...) .

في وجهة الطين

يظلُّ يكرِّرُنا الحبُّ ، والموتُ لا. نتأرجحُ بين القديريْنِ ؛ إمَّا نبكِّرُ ، أو نتأخَّرُ. لكننا نتورَّط ، إذْ نتقدَّم، في وجهة الطين؛ كيما نكون هنا ، أو هنالك ؛ أيْ : حيثُ لا ينبغي أنْ نكونْ .

ما تأخذه بين يديكَ يدوم

ما تأخذه بين يديكَ يدوم : وسيَّان إذا درْتَ بمحوره دون السُّرَّةِ أو أنشبْتَ به أظفارَكَ خلف الظهر نزولاً ، تكشطُ أضْلُعَهُ ، أو حُمْتَ بقُبَّته كي تتصلَّبَ بين يديْكَ ؛ فما تأخذه بين يديك يدوم : بنفْسجةٌ، ذهبٌ ، تفَّاحٌ ، سُنْبُلَةٌ...كَفَنٌ تُحْضرُهُ لتُخيفَ الخوفَ فترْجفُ أنتَ ويحْضرُ حسُّونٌ يرجفُ بين يديك، فما تأخذه بين يديك يدوم : سؤالٌ ، سلطانٌ ، آثارُ عصًا... أو حتى بعضُ خواءٍ لا تنفكُّ تقلِّبُه وتوسِّعُه بين يديك؛ فما دمْتَ تضمُّ يديْكَ عليْكَ ، على وَهْمِ وجودٍ فيك ، تدوم...

كما غصون تعيق خطوتي

كما غصون تُعيقُ خطوتي ، سرْتُ في الربيع كي أرفعَ الربيع ، غصْناً فغصْناً ؛ مُدْرِكاً مقصدي.
والآنَ ؟
هاأنذا أمامَكُمْ ، عارياً ، أرفعُ غصْنَ الغدِ...

الحـركـة الأخـيـرة

كـان الـربيـع هـنـا...

توفَّزَتِ الروحُ كالقشِّ ، عُدْنا إلى القول : كان الربيعُ هنا ، حـين سلَّمنا للهشاشة . حتْماً سنُغْلقُ نافذةَ القلْبِ دون اتِّضاحِ الفصول ؛ بَدَا ضيفُنا الأبديُّ على كلِّ بابٍ ؛ عهدْنَاه فصلاً يدحرج بطِّيخَهُ في البلاد، يجرجرُ أجسادَنَا صَوْبَ أطرافها العائمة؛

ضجيجٌ يُطلُّ على موسم الافتراع ، يُحَلِّلُهُ بطبولٍ تزلزل في القلب والخصيَتَيْن...

غدًا ننفثُ الرُّوحَ ناراً ، ونستقبلُ النار منْ روح كوكبها إذْ تعرْبدُ في الأُذْنِ ، منْ دون أنْ تطلبَ الإذْنَ، فوضى السَّفَادِ وجوقاتُها العارمة...

أُبـوَّةُ الـصَّـيـف

عـاقـصـة فـي دكـان الإسـكـافـي

جرَّةُ ماءٍ باردٍ قرب الباب ،
أحذيةٌ صيفيَّةٌ على الرُّفوف ،
وكتبٌ خفيَّةٌ في مقصورة الدكان ؛

الشيوخُ يصطفّون بين الرَّب والظلال .

بعد قليل يدفع بقالبٍ في الحذاء الأخير ،
تخرج عاقصةٌ منْ مقصورة الدكَّان ،
يسكت الشيوخُ ؛
ويبدأُ خالي :
كان يا ما كان...

الحِرَفُ السبْع

متنقّلاً بين حرَفِهِ السَّبْعِ التي لا تنتهي ،
يتلألأ صيفُ أبي حُبَيْبَاتٍ على جبينه ؛
تنتظرني بين الغضون .

أُواكبُ ثمارَ الحِرْفَةِ بين يديه ، ووجهُه مرآتي .
أكزُّ على أسنانه ، وأقلعُ مسمارَهُ ،
فتنزلُ على صدْغَيْنا قطرتان .

أغنية تريد أن تكون جادَّة

الأم تُسدل الستائر ،
الأب يبطئ في عاداته،
الطفلُ يبحث عن أصابعه في الماء .

على ثمارٍ مضحكة وحقولٍ حليقة ، ينفض أبو الفصول عَرَقَهُ بسبَّابةٍ معقوفةٍ ؛ يهيِّئ لنا المياه. خدمُه يغرزون الشمس في رؤوسنا، فنطلب نادلاً يضع الشتاءَ في كؤوسنا ، بينما البعوض... اليد تطلب اليد ، العرس يشقُّ العرس ، والفنُّ كرنفال . بضعُ جرعات باردة ويخرج جارُنا المتماوتُ من أعضائه مثرثراً .

أبداً ، لا يمكنك في الصيف أن تردِّدَ أغنيةً جادَّة : الخريفُ ، في منعطفٍ ، يضحك بنابٍ واحدة .

شاطئ رَوّاد مساءً

بقائمةٍ يمنى مغلولةٍ إلى القرن الأيمن ، يتقدَّمْنَ نحو الشاطئ ؛
وآخرُ النِّساء ، السابحات بفساتينهنَّ ، يغادرْن البحرَ فزعات ؛
قشور على الشاطئ .
ثلاث بقرات .
وفي البعيد كلابٌ سائبة تستحثُّ الغروب .

حضور

صيفُهم أخضر دائماً ؛ أغبر ، تحت مدار الجدْي ، صيفُنا في الجنوب .

منْ رماد أيِّ عصرٍ هذا الغبارُ، حتى يجتاح البلادَ، ويضربَ في الصمت، ملوِّثاً بريقَ العصر بين أيدينا ، ملاحقاً خطوتَنا المدَّعاة ، بيقْظةٍ من غفوة الطين ؟

سيَّان أن ندركَه ، أو يخاتلَ فلا نراه ؛ يأتي كلَّ فعْلٍ فينا ، وإنْ عبْرَ الشقوق : نحتجُّ...فنأكله.

---

* شاعر تونسي يقيم في تونس العاصمة.

الطّائر

فرج بيرقدار*

ينقرُ الطّائرُ قلبي
يرتديني شجرٌ
ينشقُّ عن أحزانِ
أهلي
شجرٌ
ينشقُّ عن أحزانهم
عنّي
عن الظّلمةِ
في هذا المَكانْ
شجرٌ
صلّى على «العاصي» طويلاً
واشتكى من وجعِ الخضرةِ
يا آيات ...
لا تتضحي أكثر مما يستطيع
الغيب
يا نايات ...
لا تسترسلي أكثر مما أستطيعْ .

شجرٌ
أعلى من الحلم قليلا
شجرٌ
أدنى من المعنى
بسيفٍ واحد إلاّ
قتيلا .
شجرٌ
من أوّل اليأسِ
بلى ..
من أول اليأسِ إلى
أقصى الرّهانْ .

***

ينقرُ الطّائرُ قيدي
ترتديني امرأةٌ
من خارجِ الوصفِ
سماءٌ
تمطرُ الآنَ وراء السّور
أحوالٌ
من اللبلابِ
وردٌ
شائكُ المعنى
جنازاتٌ وأعراس بزيّ واحدٍ
أرهاطُ ذؤبانٍ
وخيلٍ
وظباءْ .
يا لخمسين شهيداً في إهابي
كيف لي أن أوقظَ الموتى
من النّوم النّهائيّ البعيدْ؟!

كيف لي أن أقطفَ الحكمة
مما لا يجيءْ .
لم أصلْ بعدُ إلى نفسي تماماً
لم أقلني
مثلما لا بدّ لي
أن أكتبَ الصّبحَ
بحبرِ اللّيل
أحلامي أمامي
وأرى ما لا ترى عيناي
في هذا المضيقْ
بيد أنّي
لم أصلْ بعدُ إلى نفسي
وما زلتُ حزيناً
ربما من أجلِ أعدائي
وأني واحدٌ منهم
ولا طائر لا يشبهني
في الأسرِ
لاحكمةَ
لا تَشْرَق بي في آخرِ
الكأسِ
ولا نجمة
لا تسفحني ليلاً على دمعتها
لا ظلَّ
لا يهطلُ ما ينأى عن الأسبابِ
مما لا لديه ولا لديّ
فلماذا
تنحني روحي على أنقاضها
هذا المساءْ؟!
شدّني يا ربُّ
شدّ القوسَ بي ما تستطيعْ

واجعلِ المطلق مطلقْ .
إنني أبعدُ من ظنّك بي
أبعدُ أبعدْ ...
والذي قالتْه لي أمّي
يضيءْ.

***

ينقرُ الطائرُ قاموسي
وقيثاري
وكأسي .
ترتديني لغةٌ خرساء
لا تهدل غير الصّمت والنّسيان
يا أمّ ابنتي
ماذا يقولُ الصّمتُ والنّسيان؟
هل يبدو سؤالي جارحاً؟
دقّي على سبعين باباً
خلفها ما خلفها
سبعين باباً لا شهيق ولا زفير
ولا بروق ولا ظلالْ .
دقّي السّؤال بجرن صاحبهِ
السّؤالْ
دقّي على ...
لا ترسَ لي
لا سيفَ لي
لا بأسَ
دقّي مثلما ناقوسُ ذاكرتي
لكي أفهمَ أنّي
ترتديني لغةٌ طائشةٌ عمياءُ
ردّيني إلى نفسي

وعنها

وعليها .

ينتهي اللّيلُ

إلى ليلٍ

إلى ليلٍ

فلا تأنسني نفسي

ولا أُفضي إليّ .

وعليَّ الآنَ أنْ أبدأَ

من أسئلةٍ

في منتهى الجمرِ:

أليس النّأْيُ والنّايُ

جناحين لطيرٍ واحدٍ

يجترحُ الزرقةَ

أو تجرحهُ ...؟

أعني أليس الضد والضدُّ

طريقينِ إلى المعنى؟

أليسَ الرَّب أندى

كلّما أصبحَ أدنى؟!

وعليَّ الآن أن أبدأَ

من أغنيةٍ

في منتهى الضّوءِ

ولكّني ...

سلاماً يا ابنتي ...

وقتي رمادٌ في التّوابيتِ

رمالٌ

تشربُ الصّهدَ

فيظميها

ويدميها السّرابْ .

ويماماً يا ابنتي

هذي شؤوني / فاصطفي

ما شئْتِ منها
واتركي صمتي يهجّي نفسه هذا الغيابْ .
هل توغّلْتُ كثيراً؟
لا تخافي يا ابنتي
قلبي دليلي
وقطوفي فوق ما يرجى على كفر الزّمانْ .
لم يزلْ نبضي يعزّيني
ويكفيني إذا ما الحبُّ ...
يكفي ويزيدْ .
غير أنّي
أشتهي أن أشربَ الآنَ
وأن أهذي قليلاً
ربّما أنسى قيودي ويديّ .
هادليني كلّما اللّيلُ
ولو بضعَ حمامات ونامي في عيوني .
خبئي لي سوسناً
أو ليلكاً
بين ثيابي
ذاك إنْ كان تبقى لي
ثيابْ
خبئي لي موعداً لا يشبهُ الرَّب
فإنّي ...
أعرفُ السّوسن من أختِ تواسيكِ
وتبكي
أعرفُ اللّيلكَ من رعشتهِ في
صوت أمي
أعرفُ الرَّب معي يوماً
وعشرين عليّ .
ينقرُ الطّائرُ صوتاً
ضرّجتْه الأغنياتْ .

ينقرُ الطائرُ صمتاً
أخضرَ الحزنِ
رهيفَ الظلِّ
مخضّلاً بما شاءَ من الغيبِ
ومسفوحاً إلى أقصى المواعيدِ
إلى أقصى الجهاتْ
وحدنا الآنَ
أنا والطّائرُ الغرّيدُ
يا ربّاه!!
يا كلَّ حقولِ القمح
يا كلَّ الينابيعِ التي في البال
يا أفياءُ
يا أعتابُ
يا راياتُ
يا أغلالْ .
بعدُ لم أكملْ
أناشيدي
وما صالحتُ موتي
فلماذا افترشَ الطّائرُ
في الحلمِ
جناحيهِ
وماتْ؟!

---

* شاعر سوري يقيم في دمشق.

لَستُ في أيِّ مَكانٍ .. أيَّتها الوَردَة

محمد حلمي الريشة

مُخَبَّلٌ بِصَحوهِ الفَارِهِ
[آهِ من قَسوَةٍ في البِدَايَة]
والتَّنهُّدَاتُ جَائزةٌ بِافْتِرَاضِ مَشَاعِرِهِ اللامِعَة ..
أَيضاً ؛
هَادِئةٌ أَحوَالهُ الجَويَّةُ طَيراً مُستَثاراً ..
وبالعَودَةِ إلى بِسَاطهِ المَجدُورِ بِعِنَايةٍ خَاطِئَةٍ ،
أَضَعتُ قَدَميَّ الجَبليَّتينِ في جَبينِ الرِّيحِ
كَمَا لَو أَنَّني فَرسٌ يَعبرُ ثَلجاً
يَسقُطُ
مِن
غَدٍ !.

يَتكاثَفُ وَحْلٌ ؛ كأَنَّهُ يَتقمَّصُ شَمساً ،
[سَيكونُ غُمُوضٌ اضطِرَارِيٌّ]
– لا بَأس ...
لي مَوعِدٌ ، بِوُسْعِيَ أَنْ أَشطُرَهُ بَيني .. و .. بَينهُ ،
– والكَأس ...

لِمَ كلُّ هذا التَّسَكُّعِ في عَينِه المَعدنيَّة ؟
لَيتَني أَستَطيعُ استِخدَامَ الضَّحكِ
بِشَفرةِ المَسَاء !.

وَاضِحَةٌ أَحوَالُهُ لِلمَرَايَا
هوَ بَعيدٌ ؛
خَارجَ كلِّ شَيءٍ مُمْكِنٍ لِلصَّيدِ
يَصطادُ ضَجِيجَ افتِراسِي دُونَ عَرَقٍ تَحتَ إِبطَيْه ،
[دُخانٌ كَثيفٌ يَخرجُ من فُوَّهةِ فَمِي
آهِ من كِتَابةٍ سِرِّيَةٍ عن قَلَقٍ مُعلَن]

ومُمْتَدٌ مِثلَ مِعوَلٍ في بَهائي
[كأَنَّ كلَّ رَمقَةٍ ولَهَا حَطَّابُها]
يُضَاعفُ بُروقي المُختَلطة بِشَهواتِ الجَوارِحِ ،
أَكادُ أُحِسُّ بِضَربَاتِهِ مثلَ بَردٍ أَصَمّ
فَوقَ
قَطيعِ
أَيَّامي السَّائِبَة !.

أُريدُ منَ البلادِ فِكرَتَها الصَّاخِبَة
مُروراً إِلى صَوتِها اللَّيلَكيِّ أَيِّلاً تَامَّ الظَّهيرَة
أُفقاً للنَّجَاة من هَدأَةِ الماءِ في بِئرِهَا المُعطَّلَة
وَوِسَاماً أَن ظَفَرتُ بِهَا ،
ولَم تَكُن مَعي !.

[حَديثُ رِيَاحٍ يَلتهمُ ثِمَاريَ الهَادئَة ..
عُواءٌ يَلجُ الأَحشاءَ كَسَيلٍ مُوشَّىً دَماً ..
إِنَّها الفتنةُ في أَوجِهَا
وهذا النَّشيدُ عَليهَا
يَقولُ رَائِحتَهُ عن بُعد !.]

أَميلُ لِلرَّملِ
لِخصيَةِ القَلبِ الخصبَة
لِلأَرضِ في أَجرَامِها السَّاحِليَّة ..
لِمَن بَقَايا أَعيَادها مَاثلةٌ لِلضَّرعِ بِأُوَارٍ عَالٍ ؟
ثَمَّةَ حَوضٌ مُمَاثِلٌ لِنَكْهةِ حَليبِ المَاضي
كيفَ يَفشَلُ الظِّلُّ في اكتشافِ خُطواتي عَليهِ
وإشَاراتي اليَابِسَة ؟.
لَستُ قِطعةَ ضَوءٍ على جِدَار ،
لَستُ ...
أَيَّتها التَّهاونَاتُ منذُ مَا قَبل 1900 !.

الكُرَةُ ؛
في مَدارِهَا دُونَ مَلَل ..
السَّماءُ ؛
تَرفَعُ حِصَّتهَا اليَوميَّة من رَحيقِ المَعنَى ،
ولا وُجودَ أَبعدُ من الضَّبابِ المُتفتِّحِ مثلَ قُطنِ كَفَنٍ ..
يَا لَحظةَ النَّفخِ :
ارتفعي عن هَاوِياتي المُخَصَّبةِ
، ولَو قَليلاً ،
لَعلَّ حَظَّاً غَامِضاً
يُسَاقِطُ
ثَمرَةَ نَجَاةٍ
وَاحِدَة !.

بِبُطْءٍ ،
يَتقدَّمُ المَحوُ نَحوَ أَسرَارِه المُرتَبكَة ،
- أَسرَار ..؟
تلكَ أَحلامٌ لَها جُذورُها في كَرمَةِ الرَّأسِ
تَقتربُ ..
أَقتربُ ..

عَمِيقةٌ هي الذَّاكرةُ ؛
تُحاولُ الصَّباحَ من جَديدٍ
تُروِّضُ أَبوابَ الضِّفافِ بِمَفاتيحَ غيرِ مَمسُوسَةٍ ..
– أَسرَار ..؟
إنتَصِبْ أَيها المَدُّ فيَّ
العَذارَى يَرتَقِينَ لِقَطفِ التَّوافُقاتِ من دَمي !.

[.. وكانَ أَن لَمَستُ الأَلَمَ دونَ مُخيَّلَةٍ مُجهدَةٍ . الفِتْنةُ نُعَاسٌ يَستَيقظُ بِكَثافةٍ . بَينَ الحَصَى دُخانٌ يُوزِّعُ شَهوةَ القَاتلِ على جيادٍ عَابرَةٍ . ورَأَيتُ تُفَّاحَ الطُّفولَةِ مُلقَىً على كَتفيَّ مثلَ حُزنِ أَلفِ عَامٍ . دُونَ مُوسيقَى وبإِيقاعٍ دَاخليٍّ رَتَّبتُها في صُندوقِ الجسَدِ أَميناً على ثَوابتَ طَازجةٍ دَائماً .]

هيَ حَفلةُ الأُرجُوانِ السَّخيَّة ؛
تُزيِّنُ المَشهدَ بِطَوافِ أَرواحٍ حَولَ قَاماتهَا ..
لِمَ هذه الأَنْخَابُ الأَطوَلُ من أَرديَةِ القَتلَى ،
أَيُّها الضَّالعُونَ في كَيدِ سَاحرٍ ؟.
وَثانيةً :
هَلِ الهَواءُ عَذْبٌ بِمَا يَكفي
لِتَنقيَةِ الأَحياءِ من شَوائبِ العَصْفِ ؟
...
إتبَعني ، أَيُّها الصَّهيلُ ، بِحَوافرِكَ المُزدَراةِ
ثَمَّةَ أَعدَاءٌ جُددٌ في نَشرةِ الأَخبارِ ؛
يَخشَونَ أَسماءنَا
وأَوصَافَهُم الميِّتَة !.

جنَّةٌ في عَراءِ المُتوَسِّطِ ؛
[كأَنَّ قَوسَها مَحضُ صُدفَةٍ قَاسيَةٍ]
مَا أَقلَّ الوُعُول التي تُتَوِّجُ رَأسَها بِأَزرقِ الثَّلجِ
ومَا أَكثَرَ حَنيني لِلوضُوءِ بِمَديْحِها !.

عِندَ كلِّ ذَبيحَةٍ

يَخلُدُونَ إلى الكَلامِ :
جَسَدٌ وَاحدٌ يَكفي لإِثَارَةِ تَراتيلِ الهَيبَة ،
وشُرْبِ قَهوَةِ العَزَاء ..
...
إنَّهم نَرجِسُنا على صَفحَةِ الرَّملِ
كَائِناتٌ ، قُبَيلَ المَاء ، تَفقِدُ ظِلالَها
وتَرجُمُ مَدِيحَ الإِقَامَة ..
هل سَيكرَعُونَ زِئبقَ الفَضاءِ ،
أَم سَيَتغَرغَرُونَ عَتمةً بِأَكمَلِها ؟
...
لَيسُوا بِشَارةَ النَّجاةِ من غَرقٍ قَبلَ البَحرِ
ولَيسُوا هُوايَتي المُفضَّلَة !.

لَمْ يَكُنْ إلا الذي أَخشَاه ..
مَفتُونٌ بِهَا
يَصقلُها الصَّقِيعُ مثلَ رأسِ المَاء !
تَظاهَرِي بِي
إنَّني قَميصي ؛
أَدُسُّني [مُطمَئِناً] في ثُقوبهِ المُشتَعِلَةِ
حَيثُ أَنتِ عروَةُ الدِّفءِ ،
.. هكذا قِيل لي !.

لَستُ في أَيِّ مَكانٍ ، أَيتها الوَردَة
ولَست ...
لَعلَّنا أُبَّهةٌ مَقصُوفةٌ ،
أَو رَغبةٌ مَاكِرَة !.

(2001/02/03)

ضُحَى الوحيد (1)

طارق الكرمي*

حركات

بيتٌ منَ الضّحواتِ
من عرقِ البلابلِ
من صدى اللّمساتِ بيتٌ
مثلَ جفنِ غزالةٍ جَفلتْ فضاءً
قرميدهُ من مسحَةِ التفاحِ
والنُّعمى
عليهِ رميتُ طَلْقَ الروحِ
صارَ حديقةً تتلّمسُ
الحدقاتِ والماء المضوَّعَ مشمشاً
سَيَّجتهُ بالنبضِ والتَّعبِ
المُحلى والندى المبحوحْ
من فَرْوةِ الشهواتِ
لي بيتٌ معافى
دَنْدَشْتُ فيهِ النجمَ والثومَ المُشاغبَ
والجوى

وله تَلَوّتُ دَمَ القرنفل
في العُلى
حَوَّطته بالله والصبّارِ والأحلام
بيتٌ من الطّعنات
من شكوى البلابلِ
فيهِ من نَعَسِ النساءِ الحُمْرِ
والدنيا البسيطَةِ
والهوى المطحونِ
لي بيتٌ أخيرٌ آخرٌ
سَيَّجْتُهُ 30 ضلعاً
غيرَ أن البيتَ هذا
عشبةٌ نَبَتَتْ ولم تَنْبُضْ
حريرا .

الحديد

من كبدِ الأرضِ
من فرجِها
كشرابِ دمِ الديكِ
ساخنْ
لكنَّ يَسكُبُه الغَجريّ
أبو مايها ما يشاءُ
ومبتَسِماً حينما العجريُّ يُطَوِّعهُ
دونَ طوعٍ كجارتِهِ
ويعالج بالماءِ أَذرعَهُ ومفاتِنَهُ
ليصيرَ بنادقَ
باباً لبئرِ الحديقةِ
درّاجةَ الطفلِ
مرجوحةً للفتى المُتمَرِّسِ
أو ليصيرَ الأمينَ لنافذةِ

اللّوزِ
أو عجلاً لقطارِ الذينَ
بطاءً هَوَوْا
قيدَ قُبّرةٍ
ف الضُّحى
صَدَحَتْ .

لقاء

ولو لمْ نَلْتَقِ بابَيْنِ مُنْشَرِحِينِ
آنِيَتَيْنِ من شَفَةِ الوقوفِ
ولو لمْ نلتقِ
لمْ نلتمِسْ زغبَ الصَّدى
بيتاً من الخوص الشّفيفِ
ولم تهاجرْ قبّراتٌ في نشيدِ الملحِ
فينا
ما تعلمنا تمارينَ البراءةِ
والتقاطَ القلبِ منْ سقطاتِه نجماً
ولم نَعبرْ حوارينا التركناهَا بلا أسماءَ أو سروٍ من الموتى
فقلْ لي كمْ سوانا شاهِدٌ عَ دِماهُ ماءً
كم سوانا شاهِدٌ
يَنْبَحُّ نجمٌ ف الضلوعِ
بيوتُنا الحِنّاءُ يهجِسُ في يدينِ صغيرَتيْنِ
وفي يَدَيْنِ قَصيرتينِ وفي يَدَيْنِ أخيرَتَيْنِ
بيوتُنا طبشورُ بنتٍ تَفْتقُ المريولَ
والزُّنار لَيْلكةً
عَ ركبَتِها الكشيفَةِ يَنفلقُ صبحٌ

أَهذا الجسرُ شعرتُنا الخفيفَةُ
خطوة الحجرِ الذي فـ الباب
والسموات تجلوها الطحالبُ والضُّحى
وهناكَ في مرماهُ جيتارٌ على سورٍ
وها غجرٌ يقصونَ المساءَ معي

وزخّاتُ القطا تأتي
مع القتلى .

الرّصاص

كما يَفتَحُ الطفلُ عينيه حسّاً
نُفَتّحُ أشرعةً فـ الصباحِ العميقِ
العصافيرُ تكرجُ مقصوصةً فـ العيونِ اللميعةِ
تكرجُ مقصوصةً فـ البلاد التي طردتْ
فـ مساءٍ عصافيرها غَبَشاً
كما أَحدٌ فـ القطارِ الأخيرِ
يرشُّ فتاتَ النشيدِ
كما فـ الصَّبَحيةِ تعلفُ حَسْنَةُ
أهيَ العصافيرُ فـ النّافذاتِ الخفيضَةِ
تعرقُ دَرْغَلَةً؟
أهي تسكنُ فـ الغصنِ
سرَّ البلادِ وتلتقطُ الأمسياتِ
قميصاً وراية
أيها الرَّب؟

من أين تأتي الرّصاصاتُ
فاتنةً
ناعمة؟

إخـوة

هذا المساءَ ينام معي إِخوتي
على شرفةٍ وَوِسادة
– إخوةٌ لستُ أبصرهُمْ
لستُ أعرف أوَّلهُمْ –
جميلينَ مثلَ الجراحِ
ودودينَ مثلَ صباحٍ عَ خدٍّ الكسولةِ

في حجرةِ الزيتِ والأمسياتِ
تنامُ جراحُ الصنوبرِ صابِحةً
والقميصُ الغريقْ

فِ ذاتِ المساءِ يفيقُ
معي إخوتي
إخوةٌ سوفَ ألبسُ قمصانهم
إخوةٌ لستُ أبصرُهمْ
ولكنَّ أَسمعهمْ فوقَ قوسِ المساءِ
إلى جثةِ الفجرِ
مثل الجراحِ جميلونَ
مثلَ أيائلِ تموز
لهم سوفَ أَفتحُ مؤتمراً للبلابلِ
نهرَ الضُّحى
دفترَ الدَّمِ والنَّدمِ
إنهمْ الشهداءْ .

---

* شاعر فلسطيني يقيم في طولكرم.

(1) من مجموعة شعرية ستصدر قريباً بالعنوان نفسه.